الاهرام ان اسمه « السيد احمد عطية » من سكان القاهرة ، وانه كان يقيم في حيفا قبل ذلك باثنين وعشرين عاما ، وانه كان يشغل وظيفة « ورديان » في جمرك حيفا ، وانه كان زوجا وابا لثلاث بنات صغيرات(٤٢) .

تبقى بعد ذلك نقطة اخرى ما تزال تحتاج الى تحقيق ، وهي ما ذكرته بعض المراجع العربية(٤٤) من ان القسام كان ينوي احتلال حيفا واعلان ميلاد ثورة شعبية كبيرة . وان كنت ارى على ضوء تطور الاحداث ان ذلك لم يكن امرا مطروحا — على الاقل في تلك المرحلة — وان تنفيذه كان يحتاج الى مزيد من الرجال ومن العتاد ومن التهيئة الشعبية اللازمة التي لم تكن قد توفرت بعد بالقدر الذي يجعل هذا الهدف امرا قابلا للتنفيذ في ذلك الوقت . وقد اثارت هذه المعركة عواطف ابناء فلسطين والهبت مشاعرهم، فتابلوها بمظاهر جياشة من الاكبار ، حتى خشيت السلطة من ذلك ، فسلمت جثث الشهداء لذويهم واغمضت العين عن الاحتفال بدفنهم(٤٥) . وقد نعى الشيخ عز الدين القسام وصحبه من مآذن المسجد الاقصى ومساجد فلسطين ، وصلى الناس عليهم في كل مكان صلاة الغائب(٤٦) . وسار موكب الجنازة مجللا بالاعلام السورية والمصرية والعراقية والسعودية واليمنية(٤٧) . وقد حضر الجنازة جمهور كبير من المواطنين ، وحيت الصحافة العربية الشيخ القسام كشهيد للوطن والعقيدة . « أيها الصديق العزيز والشهيد . لقد سمعتك تعظ فوق منصة ، مستندا الى سيف ، اما اليوم وانت في جوار الله ، فقد اصبحت في مماتك اكثر عظة عما كنته في حياتك »(٤٨) . وقد اغلقت مدينة حيفا في ذلك اليوم ، وصلي على الشهداء في المسجد الكبير ، وانقلبت الجنازة الى مظاهرة وطنية هاجمت فيها الجموع دائرة الشرطة فحطمتها ، كما حطمت نوافذ المحطة ، واصيب عدد من رجال الشرطة البريطانيين ، ولولا ان لزمت السلطة الصمت وسحبت جنودها لتطور الامر الى درجة كبيرة(٤٩) . وابت الجماهير الا ان تشيع الشيخ عز الدين القسام الى مقره الاخير في قرية الياجور التي تبعد عن حيفا نحو عشرة كيلومترات سارتها على الاقدام حاملة نعش الشهيد ، فكان مشهدا رائعا من مشاهد الوطنية الحقة(٥٠) . وفطن اهل فلسطين الى الغرض الذي اراده القسام باستشهاده ، فاحتفلت حيفا في اوائل يناير ١٩٣٦ بتأبينه وتأبين رفاقه بمناسبة مرور اربعين يوما على استشهادهم احتفالا رائعا(٥١) .

ولم يفت الشعر الوطني ان يعبر عن هذه الحادثة ، فهذا هو الشاعر عرنوس يردد :

من شاء فليأخذ عن القسام ... أنموذج الجندي في الاسلام
وليتخذه اذا اراد تخلصا ... من ذله الموروث خير امام
ترك الكلام ورصفه لهواته ... وبضاعة الضعفاء محض كلام
أو ما ترى زعماءنا قعد اتخموا الـ ... آذان قولا ايما اتخام
كنا نظن حقيقة ما حبروا ... فاذا به وهم من الاوهام(٥٢)

وجرت يوم ١٩ اكتوبر ١٩٣٦ محاكمة عصبة الشيخ القسام ، فحكم على كل من احمد الحاج عبد الرحمن وحسن باير وعرابي بدوي بالسجن اربعة عشر عاما مع الاشغال الشاقة ، واسعد المفلح والشيخ نمر السعدي وداود علي الخطاب ومعروف الحاج جابر بالسجن سنتين(٥٣) . وتضيف بعض المراجع اسما اخر الى الذين حكم عليهم بأربعة عشر عاما وهو محمد يوسف ، وان المحكمة اوصت بمعاملة المحكوم عليهم معاملة خاصة وان يعتبر تاريخ سجنهم من يوم ٢ مارس ١٩٣٦(٥٤) . وقد اعلن رجال القسام امام المحكمة والقاضي البريطاني انهم خرجوا لقتال البريطانيين لا اليهود(٥٥) .

اما الجاسوس الذي وشى بعصبة الشيخ القسام وهو احمد نايف ، فقد اغتاله المجاهدون في حيفا قبيل محاكمة جماعة المجاهدين(٥٦) . واما الذين ساعدوا في القبض على المجاهدين او شهدوا زورا اثناء محاكمتهم ، فقد اغتالهم المجاهدون في اوائل عام ١٩٣٧(٥٧) . وكان القساميون قد لجأوا في تلك الفترة الى الاغتيالات الفردية لارهاب